الفصل الأول

مفهوم رأس المال الاجتماعى وتطوره ومكوناته

مدخل

يمثل مفهوم رأس المال الاجتماعى مفهومًا متداولًا فى الآونة الأخيرة بين تخصصات عديدة وكل تخصص ينظر إليه من منظوره الخاص، فرأس المال الاجتماعى يرتبط فى علم السياسة بالديمقراطية وما يرتبط بها من مفاهيم المشاركة والمواطنة ونشر ثقافة حقوق الإنسان، والثقافة المدنية بشكل عام أما فى العلوم الإدارية فإنه يرتبط بمفهوم المؤسسة سواء كانت حكومية أو غير حكومية بهدف رصد طبيعة الثقافة التنظيمية السائدة فيها أما فى علم الاقتصاد فينظر إلى رأس المال الاجتماعى بوصفه أداة مهمة فى تقليل ما يعرف بتكاليف المعاملات المالية والتجارية والتى تتمثل فى تحرير العقود والتركيز على الضمانات، وبالتالى فإن إشاعة الثقة بين الأطراف المتعاملة يعمل على تقليل التكاليف المترتبة على إبرام هذه العقود واشتراط الضمانات الكافية.

أما فى علم الاجتماع فيرتبط بمفاهيم الثقة والاعتماد المتبادل والتضامن

والاحترام المتبادل فضلًا عن اتساع شبكة العلاقات الاجتماعية بين الأفراد داخل الجماعة الواحدة من ناحية، وبين الجماعات المتنوعة داخل المجتمع من ناحية أخرى وهذا ما يبين أهمية هذا المفهوم الذى بدأ يطرح نفسه بإسهاب على ساحة الجدل التنموى فى الوقت الراهن، بين حقول معرفية عديدة، ويشكل فى ذاته مساحة تلاق بين علوم اجتماعية متباينة، وبالتالى فقد تحول هذا المفهوم بالتدريج إلى مفهوم تعلق عليه آمال كبيرة فى التنمية الإنسانية والمستدامة، وأصبح هذا المفهوم يتربع على عرش المفهومات التى طرحت من أجل نفس الغرض، خاصة وأن الأمل يتعلق بأن تنمية رأس المال الاجتماعى سوف يحقق ما لم تحققه المداخل التنموية الأخرى، وربما يكون هذا هو الذى جعل نفر غير قليل من الباحثين يعتبرون رأس المال الاجتماعى جزء لا يتجزأ من رأس المال البشرى أو الإنسانى، وتتأسس هذه النظرة على اعتبار أن ما يملكه الفرد من رصيد شخصى أو اجتماعى يشكل فى النهاية رصيدًا إنسانيًا كليًا، وعلى هذا إذا لم يستخدم مفهوم رأس المال الاجتماعى بشكل محدد ومنضبط، وفى سياق مقارن، فإن قيمته تقل بوصفه أداة مهمة لتطوير العلاقات بين أفراد المجتمع، وذلك حتى لا يصبح رأس المال الاجتماعى يتضمن كل شيء، ولا يتضمن شيئًا فى الوقت نفسه، وتأسيسًا على ذلك يدور هذا الفصل حول تحديد مفهوم رأس المال الاجتماعى ثم التعرف على نشأته وتطوره وعلاقته بعملية التنمية وأخيرًا أهم مكوناته الأساسية

أولًا: حول مفهوم رأس المال الاجتماعي

يعد مفهوم رأس المال الاجتماعى Social Capital من المفاهيم التى

أصبحت ذائعة الصيت وواسعة الانتشار الآن، رغم حداثة استخدامه فى بداية الثمانينيات من القرن العشرين على يد كل من بيير بورديو Bour-dieu عام ١٩٨٣م وجيمس كوليمان Coleman عام ١٩٨٨م ثم بدأ البنك الدولى فى استخدام مفهوم رأس المال الاجتماعى عام ١٩٩٧م ومن ثم فقد عقدت ورش العمل، ونظمت الندوات من أجل التعريف بهذا المفهوم، وصياغة أهم الاتجاهات النظرية التى تتناول أهم المشكلات الاجتماعية لإلقاء الضوء على هذا المفهوم.

خاصة وأن رأس المال الاجتماعى يلعب دورًا بـارزًا فى صياغة المشكلات الاجتماعية كالفقر والبطالة، والبيئة، ومدى قدرة المجتمعات الإنسانية أن تتعايش مع بعضها البعض، كما أن رأس المال الاجتماعى له أهمية كبيرة لأنك حينما تذهب إلى أى مجتمع، فلابد أن تجد فيه رأس المال الاجتماعى حيث أنه يدعم زيادة الإنتاجية الاقتصادية، ويعالج المشكلات المجتمعية ذاتيًا، كما أن رأس المال الاجتماعى كإطار اجتماعى وسياسى وإدارى يعطى أفضل بيئة لتشغيل آليات السوق المجردة بكفائة عالية. لذا فقد اعتبرت النظرية الليبرالية الجديدة أن رأس المال الاجتماعى يعد مفهومًا جوهريًا أثبت أن الإشراف الكامل للدولة على كل الموارد والخدمات الصحية والتعليمية يضعف من دور رأس المال الاجتماعى لأن ذلك يساهم فى خلق مواطنين تابعين ومعتمدين على الغير أكثر من خلق المواطنين الفاعلين والمنظمين مما يقلل ذلك من قدرة الأفراد على توليد رأس المال[1].

(1) Dasquta, p. and serageldin, J., social capital. A Multifaceted perspective. The world Bank, Washington, D. C. 1999, Reviewed by Keith Denay in Critical Sociology, vo. 26, No 3, 1999, pp. 350-353.

والجدير بالذكر هنا أن مفهوم رأس المال الاجتماعى مفهوم متعدد الأبعاد ويعرف بطرق مختلفة تتباين بتباين المنظورات النظرية التى تتعلق بدراسته، إذ يعرف بيير بيرديو رأس المال الاجتماعى من خلال شبكة العلاقات الاجتماعية والأسرة، حيث يرى أن الأسرة هى التى تنظم رأس المال البشرى وتنقله عبر الأجيال، ثم أكد أن رأس المال الاجتماعى هو الذى يحافظ على التفاعل الاجتماعى بين القوى الفردية والجماعية داخل المجتمع الطبقى الذى تسود فيه التباينات الاقتصادية والاجتماعية. فى حين يرى روبرت بوتنام Putnam (٢٠٠٢) أن رأس المال الاجتماعى يقوم على الثقة والتبادل بين الآخرين، كما يتمثل فى المشاركة فى منظمات المجتمع المدنى، فى حين يرى جيمس كولمان Coleman (١٩٩١) بأن رأس المال الاجتماعى كامن فى بناء العلاقات الاجتماعية مع الآخرين. بينما يعرف روزلندا ادواردز Edwards مفهوم رأس المال الاجتماعى بمعناه الواسع باعتباره مجموعة المعايير والقيم التى يشترك فيها الناس والتى تنتج عن علاقات التفاعل الاجتماعى والعلاقات الاجتماعية، لذا فإنه يرى أن هذا المفهوم يتكامل مع أنماط أخرى من رأس المال، مثل رأس المال البشرى (المتمثل فى القدرات والمؤهلات العلمية) ورأس المال الاقتصادى (الإنتاجى) ورأس المال الثقافى المتمثل فى (أنماط التفكير)[1].

وعلى هذا فقد أشارت فرجينيا مورو Morrow (١٩٩٩) بـأن مفهـوم رأس المال الاجتماعى مفهوم مطاط elusive ويعرف بأساليب مختلفة

(1) Edwards, R., Social capital (A sloan, work, and family, Encyclopedia Entry, south Bankuni 2003. (http./www,qoodle:com.)

حيث يشير إلى حب الارتباط بالجماعة Sociability، وشبكة العلاقات الاجتماعية Social networks والتساند الاجتماعى Social support والثقة Trust، والتبادل Reciprocity والاشتراك فى منظمات المجتمع المدنى Civic society [١].

وفى إطار ذلك فقد عُرف رأس المال الاجتماعى فى تقرير التنمية البشرية (الصادر عام ٢٠٠٣) بأنه يشير إلى النظام المؤسسى والعلاقات والعادات والتقاليد التى تؤثر على كافة الجوانب فى المجتمع بما ينعكس على التفاعلات الاجتماعية والاقتصادية، والتأثير المباشر على عملية التنمية واستمراريتها[٢].

وبهذا يتضح أن رأس المال الاجتماعى ينبع من العلاقات الاجتماعية المشتركة، ويعتمد على بناء الثقة والتبادل والعمل الجمعى، ونظرًا لأهمية هذا المفهوم فقد أظهرت الدراسات دور رأس المال الاجتماعى فى برامج التنمية والحد من الفقر والبطالة لأن الحرمات من كل أنواع رأس المال بما فيها رأس المال الاجتماعى يؤدى إلى ندرة فرص العمل المنتجة، ويترتب على ذلك انخفاض مستوى الرفاه الاجتماعي[٣].

كما تؤكد الدراسات الامبيريقية على أن رأس المال الاجتماعى يزداد

---

(1) Morrow, V., Conceptualizing social capital in Relations to the well – being of children and young people A critical Review, the editorial Board of the sociological Review, Blackwell, U.K, 1999, p. 749-761.

(٢) تقرير التنمية البشرية (مصر) التنمية المحلية بالمشاركة، معهد التخطيط القومى، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة، ٢٠٠٣، ص ٥٦.

(٣) خلاف خلف الشاذلى، الاتجاهات النظرية والمنهجية الحديثة فى رأس المال الاجتماعى، بحث مرجعى مقدم للجنة العلمية الدائمة للترقية (أساتذة)، القاهرة، ٢٠٠٣، ص ١٣.

عند هؤلاء الأفراد الذين يتكاملون جيدًا مع مجتمعاتهم المحلية، والذين يتميزون بالفاعلية الذاتية، وفى المقابل ينخفض بدرجة كبيرة عند الأفراد الذين يعانون من البطالة والمنعزلين اجتماعيًا[1].

ولهذا فقد رأى نادر فرجانى ـ أن رأس المال الاجتماعى هو نوع من رأس المال يتوقف على وجود الأفراد فى مؤسسات اجتماعية، وبالتالى فإن المجتمعات التى يوجد بها عمل أهلى نشط وفعال تتسم بارتفاع معدلات رأس المال الاجتماعى، ولكن مع وجود ضغوط شديدة على ممارسة كل أشكال رأس المال الاجتماعى فى مصر، ومع اشتداد عملية العولمة عن طريق زيادة حرية التدفقات الدولية، وفى ضوء هشاشة الهيكل الإنتاجى المصرى، والوضع المتدنى للعمالة بما فى ذلك انخفاض الإنتاجية سيؤدى، ذلك إلى احتمال كبير لتفاقم مشكلات البطالة، وتدنى الإنتاجية، وزيادة مشكلة الفقر[2].

ومن ثم يعرف رأس المال الاجتماعى بأنه موارد كافية فى البناء الاجتماعى يمكن الوصول إليها واستخدامها فى أفعال مقصودة، ويكشف هذا التعريف عن أن أرصدة رأس المال الاجتماعى توجد لصيقة بالبناء الاجتماعى، ولكنها لكى تؤدى غرضها لابد وان ترتبط بالفعل الاجتماعى، وتتحدد هذه المصادر فى نوعين هما:

١ ـ علاقات وشبكات Network يقيمها الأفراد لتحقيق أهداف معينة مثل النقابات والأحزاب، وجمعيات المنفعة العام والجمعيات الأهلية وغير ذلك من العلاقات والشبكات التى تؤسس لحماية مدينة.

---

(1) Morrow, W., op. Cit., pp. 744-761.

(٢) نادر فرجانى، العولمة والعمالة، فى كتاب «العولمة نحو رؤى مغايرة» كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، القاهرة، ٢٠٠١، ص ص ١٤٣ ـ ١٤٥.

٢ ـ منظومة قيمية تأتى على رأسها قيم الثقة، والشفافية، وتحمل الآخر والرغبة فى التفاوت معه، والعقلانية، وغير ذلك من قيم الحداثة[١].

وهذا يعنى أن رأس المال الاجتماعى يشير إلى الروابط والعلاقات الاجتماعية التى تتضمن مجموعة من القيم والمعايير الأخلاقية، ويتم تكوينها فى إطار بنائى اجتماعى معين، ويمتد هذا البناء من الأسرة وجماعات الجيرة، والأصدقاء، ومؤسسات المجتمع المدنى إلى بقية مؤسسات المجتمع، ومن ثم ينطوى مفهوم رأس المال الاجتماعى كذلك على أداء المجتمع الأهلى، وطبيعة الروابط الأسرية ومدى التمسك بالقيم الاجتماعية، ودرجة مكانة النسيج الاجتماعى، وتنوع البنى الاجتماعية، وما يشبهها من العوامل[٢].

وفى تقرير التنمية البشرية الصادر عام (٢٠٠٣م) عرف رأس المال الاجتماعى بشكل عام بأنه النظام المؤسس والعلاقات والعادات والتقاليد التى تؤثر على جميع الجوانب فى مجتمع ما، بما ينعكس على التفاعلات الاجتماعية والاقتصادية ذات التأثير المباشر على عملية التنمية واستمراريتها ومدى تدعيم رأس المال الاجتماعى للتنمية والديمقراطية[٣].

فقد كان علماء الاقتصاد الكلاسيكيون العظام «آدم سميث» إلى

(١) أحمد زايد وآخرون: رأس المال الاجتماعى لدى الشرائح المهنية من الطبقة الوسطى، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ٢٠٠٦، ص ٨ – ٩.

(٢) نجلاء المصيلحى: الفيس بوك ورأس المال الاجتماعى فى مصر، مجلة شئون اجتماعية، الشارقة، السنة ٢٩، العدد ١١٥، خريف ٢٠١٢، ص ١١٨.

(٣) المرجع ذاته، ص ١١٩.

«كارل ماركس» يعتقدون أن رأس المال هو المحرك الذى يزود اقتصاد السوق بالقوة المحركة، وكان رأس المال يعتبر الجزء الرئيسى فى الكل الاقتصادى، وكان التخصص الاقتصادى تقسيم العمل وما يترتب عليه من تبادل المنتجات فى السوق هو مصدر الإنتاجية المتزايدة، ومن ثم ثروة الأمم، وكان رأس المال هو الذى جعل التخصص والتبادل أمرًا ممكنًا وكلما زاد تراكم رأس المال أصبح فى الإمكان تحقيق مزيد من التخصص ووافق ماركس على هذا التصور، ومن جانبه أوضح «كارل ماركس» فى كتاباته أن رأس المال هو جزء من فائض القيمة الذى تحصل عليه الطبقة الرأسمالية من خلال السيطرة على وسائل الإنتاج، وما يتوفر لديها من فوائض تمثل الفارق بين تكلفة الإنتاج المتحققة، وأثمان السلع المرتفعة، وعلى هذا فإن رأس المال بهذا المعنى هو عملية استثمار للفوائض المالية، التى تذهب إلى خزائن الرأسماليين والبرجوازيين لكن مفهوم رأس المال كما يؤكد سيسمو ندى كان قيمة دائمة تتضاعف ولا تفنى، وعندئذ تنفصل هذه القيمة عن المنتج الذى يخلقها وتصبح أيًا كان، والذى كان يمكن تحديد هذه القيمة فى أشكال مختلفة بالنسبة له، لذا رأى الاقتصادى الفرنسى جان باتيست ساى أن طبيعة رأس المال لا مادية على الدوام.

حيث انه ليست المادة هى التى تشكل رأس المال وإنما قيمة هذه المادة، وليس هناك شيء مادى بشأن القيمة[1].

وفى إطار موضوع هذه الدراسة فإننا نتفق مع التعريف التالى لرأس المال الاجتماعى بأنه مجموعة من القيم التى تتولد لدى الأفراد بصورة

(١) هرناندو، دى سوتو: سر رأس المال لماذا تنتصر الرأسمالية فى الغرب وتفشل فى كل مكان آخر، ترجمة كمال السيد، مكتبة الاسرة، ٢٠٠٩، ص٤١ ٤٣.

مباشرة أو غير مباشرة لعضويتهم فى روابط اجتماعية وتكوينات مؤسسية حكومية وغير حكومية، تقليدية، وحديثة، على نحو ساهم فى تحقيق الأهداف المشتركة، ومواجهة التحديات المشتركة على نحو سلمى، وفى سياق من التفاعل البناء[1].

وأن هذا التعريف يوضح دور المنظمات الأهلية (غير الحكومية) «Non-government organization» فى إنتاج وتكوين رأس المال الاجتماعى وهذا لا ينفصل بالطبع عن الدور الذى تقوم به المؤسسات الحكومية، والسياسية، والبيروقراطية من ناحية، والتكوينات التقليدية مثل الأسرة، والجماعة الدينية والقبيلة والعشيرة من ناحية أخرى.

ثانيًا: نشأة مفهوم رأس المال الاجتماعى وتطوره

يعبر رأس المال عن الثروات الحقيقية فى أى مجتمع، ويتم استثماره لتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية والرفاه الاجتماعى، ولكى يتأتى تحقيق التنمية الحقيقية فإنها يجب أن تكون تنمية شاملة وعادلة، وقد فرضت التنمية الشاملة والمستدامة على الإنسان أن يعدل من فهمه لرأس المال فهناك رأس المال المادى الطبيعى والذى يقدر قيمته على كوكب الأرض نحو (٢١ ٧٢) تريليون دولار سنويًا فى شكل خدمات وسلع تقدم للبشرية بدون مقابل، فى حين يقدر رأس المال البشرى والاجتماعى والثقافى وكافة الأنشطة البشرية بنحو (٥٨) تريليون دولار سنويًا[2].

(١) سامح فوزى: القوة الخفية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، وزارة الثقافة، القاهرة، العدد ١٠٥، ٢٠١٢، ص٣٩.

(٢) مصطفى فوده: محمياتنا الطبيعية، سلسلة الثقافة العلمية، هيئة قصور الثقافة، العدد ١٠، ٢٠١٣، ص ١١، ص ١٢.

لقد جذب رأس المال المادى معظم المفكرين فى القرون الثلاثة الماضية وقال ماركس أنك تحتاج إلى المضى لما وراء الماديات لتلمس الدجاجة التى تبيض البيضات الذهبية هذا ويظهر رأس المال فى تجليات كثيرة ومتنوعة فهناك رأس المال المادى فى صورة مبانى، طرق، شبكات مياه وصرف، وسيارات وماشية.... إلخ ويجمع كل هذه المظاهر لرأس المال المادى هو أنها تعبر عن إنفاق موارد ووقت بهدف امتلاك أدوات منشآت يمكن استخدامها للحصول على الدخل.

ومن ثم بدأ الاهتمام على نطاق واسع برأس المال المادى فى أعقاب الحرب العالمية الثانية التى شهدت استقلال العديد من المستعمرات السابقة فى دول العالم النامى، حيث ساد اقتناعه وقتئذ أن التنمية تتحقق بمقدار ما يتوافر للدولة من رأس المال المادى سواء كان فى صورة نقدية أو معادن أو بترول أو منتجات زراعية يمكن تصديرها وقد تعزز هذا الاقتناع نتيجة الإيمان فى ذلك الوقت بأن الدول الامبريالية إنما جاءت واحتلت الدول النامية لنهب رأس المال المادى المتوفر لديها وقد تمكنت من تحقيق التقدم المنشود نتيجة لذلك.

ثم بدأ الاهتمام يتزايد بأهمية الاستثمار فى رأس المال البشرى فى الستينيات من القرن العشرين بغية الحصول على عائد مستقبلى، ومثال ذلك الاستثمار فى التعليم ويتجلى العائد فى ما سوف يحصل عليه الأفراد من عوائد مالية يترتب على ما يتوفر لديهم من مهارات ومعارف، وساد الاعتقاد بأنه إذا ما تحققت معدلات مرتفعة من التنمية البشرية فإن طبقة العمال سوف تنتقل من حالة الاغتراب المبنى على العجز إلى حالة التمكين المستند إلى المهارات، فى هذه الحالة تستطيع العمالة الماهرة المدربة أن تلجأ

إلى أساليب التفاوض مع القائمين على عملية الإنتاج (البرجوازيون أنفسهم أو وكلائهم) من أجل الحصول على شروط عمل أفضل، وفى منتصف الثمانينات من القرن العشرين بدأ نوع من الاهتمام بالأسباب التى تعوق رأس المال المادى والبشرى على السواء وخلصت بعض الدراسات إلى أن ذلك يعود إلى ضعف السياسات العامة، وهو ما فتح الباب البحث فى الترتيبات المؤسسية والمنظمات العامة التى تساعد على تحقيق التنمية، والحديث عن أهمية القيم المؤسسية سواء كانت رسمية أو غير رسمية، مهد ذلك السبيل للبحث فى رأس المال الاجتماعي[١].

ومن ثم ظهرت كتابات أن هناك ما يسمى برأس المال الفكرى، ففى عقل الإنسان رأسمال وفى روحه رأسمال، وفى نفسه رأسمال، وفى علاقاته مع الآخرين رأسمال، أطلق عليها علماء الاجتماع رأس المال الاجتماعى Social capital على أساس أن التقدم يكون بالبشر وللبشر[٢].

ثم ظهرت أطروحات أخرى حول ما يسمى «رأس المال الرمزي» تطورت من خلال ما كتبه «بيير بورد يو» Bourdieu والذى ذهب إلى أن الطبقة المهيمنة فى المجتمع تحتاج إلى رأس مال ثقافى حتى تستطيع أن تنتج ما يعيد لها من أفكار، ومعانى ورموز ثقافية تمكنها من السيطرة على الطبقات الأخرى، الجماهير العريضة التى تستهلك مثل هذه المنتجات الثقافية، وبمعنى آخر أنه فى الوقت الذى تمتلك فيه الطبقة المهيمنة رأس

---

(١) انظر فى هذا الصدد كل من:

** سامح فوزى: القوة الخفية، مرجع سابق، ص ٢٣.

** هرناندودى سوتو: سر رأس المال، مرجع سابق، ص ٤٣ ـ ٤٤.

(٢) انظر كل من:

ـ سامح فوزى: القوى الخفية، مرجع سابق، ص ٢٤.

المال الثقافى أو تتناقله الأجيال من خلال وسائل التنشئة الثقافية من خلال بعضها البعض استطاع كسر هذا الحاجز والحصول على عوائد من خلال الاستثمار فى هذا النوع من رأس المال، كما أشار بورد يو إلى ما يسمى برأس المال الدينى والذى فى تصوره يكون بمثابة تعبير عن السلع الروحية الرمزية التى يتنافس الفاعلون الدينيون على إنتاجها وتسويقها فى المجال الاجتماعي[1].

من هنا أصبح رأس المال الاجتماعى مفهوما متداولًا ينظر إليه على أنه استثمار فى علاقات اجتماعية مقابل عوائد متوقعة، وتتمثل هذه العوائد فى العوامل التالية:

الأول: تدفق المعلومات من ثنايا التشبيكات والروابط الاجتماعية حيث يمكن من خلال انسياب المعلومات فى المجتمع بين مختلف أفراده ومؤسساته ومنظماته التعرف على احتياجات السوق، وهو ما يمكن الفرد المؤهل علميًا وعمليًا من الحصول على الوظيفة التى تلاءم مهاراته، وتلبى فى الوقت ذاته حاجة سوق العمل إليه يقلل ذلك من التكلفة التى تتكبدها المؤسسات من جراء تكاليف نشر إعلانات طلب وظائف، وإجراء المقابلات الشخصية بحثا عن الشخص الكفء المناسب ومن هنا فإن حصول الشخص على وظيفة ما يستحقها فى سوق العمل تكون يسيره بالنسبة له إذا كان عضوًا فى إحدى الروابط الاجتماعية أو المؤسسات الاجتماعية.

الثانى: تأثير الروابط الاجتماعية على صانع القرار، حيث تقوم هذه

(1) Bourdieu / p., the forms of capitol, in Hand book of theory and research for the sociology of education, (in) Richards j.G (ed), N.Y Green wood, 1985.

الروابط فى المجتمعات الحديثة بتجميع وبلورة والتعبير عن مصالح أعضائها وتلعب أدوار متباينة فى رفع المستويات الثقافية ومساءلة المؤسسات الحكومية والخاصة على السواء.

الثالث: امتلاك الفرد العضو فى إحدى الروابط ملكات اجتماعية يأتى ذلك نتيجة ما يتاح له من موارد جراء الانفتاح على موارد تتمثل فى علاقات اجتماعية ووسائل اتصال ومعارف وخبرات جديدة.

الرابع: الدعم النفسى للأفراد الأعضاء فى الروابط والمؤسسات المدنية وهو ما يتمثل فى الشعور بالانتماء إلى شبكة أمان اجتماعى مكونة من أشخاص يتشاركون نفس الاهتمام والهم والمصلحة المادية أو المعنوية.

هذه العوامل الأربعة المعلومات، والتأثيرات، والملكات الاجتماعية والشعور بالتضامن تفسر جميعا قوة وتميز رأس المال الاجتماعى لاسيما إذا ما قورن بأنواع أخرى من رأس المال الاقتصادى أو رأس المال البشرى.

ثالثًا: مكونات رأس المال الاجتماعى وقياسه

فى الواقع تأتى أهمية رأس المال الاجتماعى ومكوناته فى أنه يجمع عدة مفاهيم وقضايا سوسيولوجية فى أن واحد مثل التدعيم الاجتماعى والتماسك الاجتماعى، والمعايير، والقيم، ومن المزايا الأخرى لمفهوم رأس المال الاجتماعى سهولة إجرائية فى الأنشطة والتنظيمات الاقتصادية، وبالتالى يمكن أن يلعب وظائف مهمة فى عدد ضخم من السياقات، الاجتماعية والمؤسسية،

ويمكن تصنيف كل هذه الأبعاد المتعلقة برأس المال الاجتماعى إلى فئتين:

الأولى: تعتبر رأس المال الاجتماعى صفة للأفراد أو الجماعات.

والثانية: تعده بمثابة القيمة التى يضيفها رأس المال الاجتماعى على العلاقات بين الفاعلين الاجتماعيين وبالتالى عند استخدام مفهوم رأس المال الاجتماعى بمعنى مجموعة المعايير والقيم غير الرسمية التى يشترك فيها أعضاء جماعة ما، فإنه يمكن انتشار التعاون أو بمستويات الثقة والولاء الموجودة فى الجماعات الاجتماعية، وبناء عليه يمكن أن يكون المقياس الكمى لرأس المال الاجتماعى بهذا المعنى عدد المنظمات التطوعية التى تقوم على مبدأ المشاركة الحرة.

كما يمكن قياس رأس المال الاجتماعى بمستوى الثقة الموجودة بين الأفراد الذين يتفاعلون مع بعضهم البعض، والثقة فى النظم السياسية والاقتصادية، والثقة بين زملاء العمل، ومستويات الصداقة الحميمة فى العمل وغيره من الأنشطة... الخ، ويشير ذلك إلى القيم ومستوى ولاء الأفراد للسياقات الاجتماعية التى يشاركون فيها أو الانتماء بصفة عامة للمجتمع الذى يعيشون فيه.

ويستخدم مفهوم رأس المال الاجتماعى بمعنى الثقة فى الآخرين بالتطبيق على تحليل التنظيمات الاجتماعية، وبصفة خاصة الشركات التى تحتاج بوصفها تنظيمات إلى تعاون أعضائها لتحقيق أهدافها بنجاح[1].

وبالتالى يعد رأس المال الاجتماعى مكونًا على درجة كبيرة من الأهمية فى نمو النظم الاقتصادية، إذ يمكن انجاز المعاملات الاقتصادية بدرجة

(١) مصطفى خلف: الاتجاهات النظرية والمنهجية الحديثة فى دراسة المؤشرات الاجتماعية، مقالة مقدمة إلى لجنة الترقيات باللجنة العلمية الدائمة لترقية الأساتذة، مايو ٢٠٠٣، ص ٢٨.

أكثر كفاءة إذا تمت فى سياق شبكات العلاقات الاجتماعية، كما أن شبكات علاقات التعاون بين العمال والشركات الصغيرة تفضى إلى درجة عالية من المرونة فى مواجهة الأوضاع المنعكسة فى السوق، ويعتبر مدخل رأس المال الاجتماعى أداة مفيدة فى صياغة الاستراتيجيات التنموية الجديدة[1].

وعلى هذا يمكن تحديد المكونات الأساسية لمفهوم رأس المال الاجتماعى فى العناصر التالية:

المكون الأول: الشبكات الاجتماعية Social Net work حيث ينطوى مفهوم رأس المال الاجتماعى على ما يمكن أن نطلق عليه تشبيك اجتماعى يمتد من الأسرة، وجماعة الرفاق مرورًا بالمؤسسات الطوعية وانتهاء بمؤسسات الدولة، والتشبيك ينطوى على أمرين هما عوامل الجمع التى تربط أفراد جماعة أو كيان مؤسس واحد، والعلاقات التى تربط الكيانات المؤسسية والجماعات المختلفة فى المجتمع، والعلاقات التى تسود الشبكات لا تكون جميعها ايجابية، بل قد تنطوى على بعض الجوانب السلبية، وهو ما أطلق عليه بوتنام «الجانب المعتم أو المظلم من رأس المال الاجتماعي» وذلك عندما تدب عوامل الصراع بين الأفراد المكونين للمجموعة الواحدة، أو تنشب صراعات بين جماعات وكيانات مؤسسية مختلفة مما يؤدى إلى الخصم من قدرة المجتمعات على التجانس أكثر ما يضيف إليها.

المكون الثانى: القيم والمعايير الاجتماعية تشمل القواعد والقيم والتوقعات التى يتسم بها الأعضاء فى كيان مؤسسى معين أو جماعة ما،

(١) المرجع ذاته، ص ٢٨ ـ ٢٩.

ويقصد بالقواعد Rules ما يحكم سلوكيات الأفراد الأعضاء فى كيان واحد، وقد تكون مكتوبة أو غير مكتوبة، وتعنى القيم المبادئ المرغوب فيها مثل التعاون، والثقة المتبادلة، والاحترام المتبادل، الخ دون أن نغفل أن الكيان المؤسسى قد ينطوى على قيم سلبية مثل التناحر، الشك المتبادل، الأنانية المفرطة ومن خلال الالتزام بهذه القواعد والقيم يحدث توافق على مستوى التوقعات بين الأفراد التى تؤدى إلى حالة توافق فى المجتمع.

المكون الثالث: الجزاءات Sanctions وتشمل العقوبات، مثلًا فى حالة خرق القانون أو خيانة الثقة (كما يحدث مثلا مع موظفى الرى فى تايوان من نبذ اجتماعى للشخص الذى يحرق قواعد تنظيم المياه بالتساوى بين المزارعين) أو مكافآت فى حالة التشجيع على السلوك الايجابى وبصفة عامة فإن كل مجتمع بشمل وسائل مكتوبة وغير مكتوبة يمكن من خلالها ممارسة الثواب والعقاب فى المجتمع[1].

المكون الرابع: الثقة Trust تعد الثقة الاجتماعية Social Trust،[2] فى أغلب التراث السوسيولوجى اللب المكون لرأس المال الاجتماعى، وتستخدم فى الغالب كمؤشر رئيسى، وربما المؤشر الوحيد أحيانا لهذا الرأسمال وبذلك فالقدرة التى تنبثق فى المجتمع نتيجة لتغلغل الثقة فيه، أو وفى بعض قطاعاته على أقل تقدير هى التى تمثل رصيده من رأس المال الاجتماعى، وتستطيع الثقة كميكانزم اجتماعى التأثير على سلوكنا الاجتماعى إلى حد كبير، حيث يعمل هذا الميكانزم كصلة معنوية فيما

(١) سامح فوزى: القوة الخفية، مرجع سابق، ص ٤٢ ـ ٤٣.

(2) Coleman, j., Foundations of social theory Cambridge, Harvard university press, 1990.

بين دوافعنا، ومعتقداتنا، والأهداف المطلوب إحرازها فى إطار الشرط الاجتماعى، والوجه الآخر لهذه العملية هو الارتياب الذى يفصل الذات عن الآخرين، ويثير الشك فيهم، ويطرح الحيرة والتساؤل حول العلاقة المتبادلة بين الفرد والمجتمع، أو ببساطة الآخرين فى دوائر التفاعل المختلفة، وحضور هذا الوجه الآخر، أى الارتياب، تقوض إيمان الفاعل بالمعنى أو توقع نجاح الأفعال، وتقلص إمكانات الفعل الجمعى، تندرج الثقة بهذا المعنى فى مستويات مختلفة، ولكنها جميعًا تحيلنا إلى تأمل كيفية التماسك الاجتماعى فى حياة الناس، ومدى اتساق تطور الأبنية الأساسية فى المجتمع التى يعملون خلالها، وأن الثقة هنا مسألة تتعلق بالنظام الاجتماعى فى المقام الأول[1].

ولا تستطيع النظم الاجتماعية خاصة النظم الاقتصادية أن تقوم بوظائفها على نحو سليم دون العمليات التى تولد الثقة، وترسخ الطموحات، وتدعم المعايير المشتركة، وكل هذه العمليات تصبح يسيرة بواسطة رأس المال الاجتماعى، وهذا شكل من أشكال معالجة موضوع التنظيم الاجتماعى والعلاقات بداخله فى تحليل النظم الاقتصادية من زاويتين:

أولهما: أن هذه النظم عبارة عن بناء يشمل المؤسسات الاقتصادية.

وثانيهما: أنها بناء له تاريخه واستمراريته التى تحدث تأثيرا مستقلًا على أداء هذه المؤسسات لوظائفها، ويمكن القول باختصار أن المؤسسات الاقتصادية لا يمكن أن تقوم بوظائفها دون العلاقات الاجتماعية المحيطة

(١) أحمد زايد وآخرون: مرجع سابق، ص ٢١.

بها، ولابد من أجل توفير بيئة عمل مناسبة من أخذ رأس المال الاجتماعى (الثقة، العلاقات الاجتماعية، الولاء للجماعة، عملية الاتصال) بعين الاعتبار، وإلى جانب المعايير والقيم الرسمية فى التنظيم، فإنه يصعب القيام بنشاط المؤسسة دون وجود معايير غير رسمية وينتج عن هذا النشاط تولد إحساس بالرضا والتنعم بين الأفراد بسبب العلاقة الطيبة والثقة والولاء لديهم، ولا يمكن القيام بهذه الأنشطة دون وجود ثقة أو ولاء[1].

وعلى هذا كان فرص الحصول على درجة أعلى من الرضا فى العمل تعتمد على مستوى العلاقات والثقة والولاء الاجتماعى الناتج عن بيئة العمل بدرجة أكبر من اعتمادها على الخصائص الشخصية أو خصائص العمل.

ولذا يساهم رأس المال الاجتماعى فى تحقيق التنمية[2] من خلال زيادة الإنتاج وتحسين القدرة التنافسية للمشروعات، وتنمية رأس المال البشرى وخفض تكلفة المعاملات، وتقليص الفجوة الطبقية، وتكمن عبقرية رأس المال الاجتماعى فى كونه نقطة التقاء بين أطر فكرية متنوعة مثل الاتجاهات الرأسمالية والاتجاهات الاشتراكية، وكذلك دعم فاعلية كل من الدولة والسوق والمجتمع المدنى من خلال العمل المشترك فيما بينهم لتحقيق الرفاهة والتنمية الاقتصادية، ويعتمد نجاح هذه المنظومة على الجهود التى يكمل بعضها بعضا ولا يستوى أن يحل أحدها محل الآخر، وتتمثل فى الثقة وحرية الاختيار ورغبة الأطراف فى التعاون،

(١) مصطفى خلف، مرجع سابق، ص ٢٩.

(2) Bedding ton, A. social capital and development, Progress in development. studies, v – 4, n. 4, 2004.

وبالتالى يعتبر رأس المال الاجتماعى عاملا مهمًا فى الاقتصاديات الحديثة، وفى انتشار قيم الديمقراطية، والحرية والعدالة ومن ثم يمكن القول أن الدراسات الحديثة اعتبرت رأس المال الاجتماعى أحد مواد التنظيم الاجتماعى، ومصدرًا كافيًا للقيمة يمكن العمل على تقويته وتدعيمه وتحويله إلى الأهداف الإستراتيجية المثمرة حتى وقت قريب.

وكانت النظريات الاقتصادية التى تضع معايير تقدم وتخلف المجتمعات البشرية تتجاهل السياق الاجتماعى الذى تجرى فيه عملية التنمية، وكانت التنمية لها معايير مادية بحتة مثل متوسط الدخل الفردى واستدامة الزيادة السنوية فى الناتج القومى الاجتماعى، إضافة إلى قدرة الدولة على توسيع إنتاجها بمعدلات أسرع من معدلات النمو السكانى، غير أنه مع إضفاء البعد الإنسانى على عملية التنمية بدأ يظهر تنامى الاهتمام بالأبعاد الاجتماعية والثقافية للتنمية، خاصة أن هذه الأبعاد خلقت مؤسسات من رحم المجتمع المدنى ساعدت شرائح مجتمعية عديدة لم تستطع الدولة مساعداتها لاسيما فى ظل التوجه نحو برامج إعادة الهيكلة الرأسمالية.

وعلى هذا ظهر مفهوم رأس المال الاجتماعى كأسلوب لتسهيل تبادل العلاقات والسلع، وتقوية الثقة فى عمليات ومؤسسات التبادل الاقتصادى والاجتماعى ليزيد من كفاءتها وسرعتها كما انه يخلق علاقة قوية بين الدولة والمجتمع تسمح بخلق قنوات مؤسسية لمناقشة الأهداف والسياسات التنموية، وخلق هياكل وبنى اجتماعية تدعم أعضاءها وتحقق مصالحهم وتعضد تماسكهم، ومن ثم لا يمكن إغفال دور رأس المال الاجتماعى فى تحقيق التنمية والتوصل إلى دولة الرفاهية والعدالة الاجتماعية.